

## الأدب المقارن والنقد الأدبي: العلاقة أو المنازعة؟ (دراسة وتحليل)

تورج زينيوند (الكاتب المسؤول)\*

جهانگیر امیری\*\*

### الملخص

إنَّ لكلَّ مدرسة من مدارس الأدب المقارن ذات اتجاهات أدبية؛ موقفها الخاصَّ تجاه النقد الأدبي. فبينما تركز المدرسة الفرنسية للأدب المقارن على دراسة العلاقات التاريخية للأثار الأدبية في ضوء رصد التأثير المتبادل بينهما من دون اهتمام بقضايا النقد والجماليات الأدبية عبر دراساتها. في الحقيقة؛ زبدة قولهم هي أنَّ الباحثين في الأدب المقارن ليسوا نقاداً والنقاد ليسوا من المقارنين. أمَّا المدرسة الأمريكية في الأدب المقارن، التي بدأت مع المحاضرة التي ألقاها "رينيه ويليكي"، فإنَّها تعدُّ كنقطة انطلاقاً لاحتكاك الأدب المقارن بالنقد الأدبي والتوفيق بين مناهج الأدب المقارن والنقد الأدبي ثمَّ الدمج بين مناهج الأدب المقارن والنقد الأدبي بحيث يكمل بعضهما البعض. وفي السياق ذاته إنَّ من أبرز خصائص المدرسة الأمريكية للأدب المقارن، أنَّها تعبر أهمية قصوى للجماليات الفنية المنضوية تحت النصوص الأدبية وخلاصة قولهم هي؛ أنَّ الأدب المقارن والنقد الأدبي أمران متداخلان لدرجة يمكننا اعتبارهما وجهين لعملة واحدة. وأمَّا هذا البحث فإنَّه يحاول واعتماداً على المنهج الوصفي التحليلي، دراسة كيفية تفاعل المدارس الأدبية للأدب المقارن مع مسارات النقد. ومن أهمِّ النتائج التي تفيد هذا المقالة هو أنَّ بين المدارس الأدبية للأدب المقارن ولاسيما المدارس الأمريكية والألمانية والسلافية منها وبين النقد الأدبي علاقة عضوية أو نبوية. وبناء على ذلك نستطيع القول إنَّ دراسة النماذج الأدبية الراقية وبمعزل عن النظر في الأبعاد الجمالية والاتجاهات الأدبية الكامنة فيها تعدُّ عملية مبتورة غير مكتملة. آخذاً بنظر الاعتبار إنَّ المدرسة الأمريكية للنقد تنطرق أثناء دراستها إلى بحث جماليات النص الأدبي كمهمَّة أساسية من مهامها الأدبية.

الكلمات الدلالية: الأدب المقارن، النقد الأدبي، مدارس الأدب المقارن، المدرسة الفرنسية، المدرسة الأمريكية، رينيه ويليكي.

\*. أستاذ مشارك في اللغة العربية وآدابها بجامعة الرازي، کرمانشاه، إيران

T-zinivando@yahoo.com

\*\* أستاذ مشارك في اللغة العربية وآدابها بجامعة الرازي، کرمانشاه، إيران Jamiri@razi.ac.ir

تاريخ القبول: ١٣٩٨/٣/٨

تاريخ الاستلام: ١٣٩٧/١١/٢٧

## المقدمة

مع أنّ أرسطاطاليس (أرسطو) هو أوّل من وضع أصول الإبداع الأدبي ودوّنها وأسس معايير لتقسيم الآثار الأدبية إلّا أنّ نشوء أوّل مدرسة في الأدب المقارن لا يعود تاريخه إلى أبعد من قرنين مع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ عملية المقارنة تكون مترامنة مع نشوء الإنسان على وجه الأرض. (أنوشيرواني، ١٣٩١ش: ١١٧)

يُعَدُّ الأدب المقارن والنقد الأدبي آليتين أساسيتين توظفان لدراسة الآثار الأدبية لشعوب العالم. الأدب المقارن يطمح إلى رصد وجوه التلاقى بين الآداب واللغات والثقافات كما أنّ النقد الأدبي ينزع إلى الكشف عن مكان من الضعف والقوّة في النصوص الأدبية وتقييم جوانبها الفنيّة وأبعادها الجمالية بينما كانت الدراسات المعنية بالنقد الأدبي في القرن التاسع عشر آخذة بالتزايد، تولّدت مدرسة (المدرسة الفرنسية) جعلت الكشف عن الصّلات التاريخية التي تربط بين آداب الشّعوب في قمة أولوياتها دون أن تعنى بالأبعاد الجمالية والنقدية. فما إن دخلنا المنتصف الثاني من القرن العشرين حتّى واجهنا الآراء التي اقترحتها "رينيه ويليك". والنظريات التي طرحها "ويليك" تعتبر الحجر الأساس للمدرسة التي سمّيت فيما بعد بالمدرسة الأمريكية؛ كظاهرة عالمية والتي وجّهت نقداً مريراً لاذعاً تجاه المدرسة الفرنسية التي تحبس آداب الشّعوب في دهايز العلاقات التاريخية هادفة إلى الإفراج عن الآداب من زنزانة الرؤية الفرنسية ومنحها حالة من الانطلاق والانفتاح التّاجمين عن الحوار البناء والتفاعل الجادّ فيما بينها. ظلّت النزعة الأمريكية في النقد تزداد اتساعاً وشيوعاً حتى هيمنت على الرؤية الفرنسية. فتوجّهت الدراسات الأدبية صوب الجماليات الأدبية والنقد الأدبي بعد أن كانت منحصرة في الجوانب الهامشية والأجنبية عن الأدب كالتأثير المتبادل ومصادر الإلهام والصّلات التاريخية. وهكذا أخذ الأدب المقارن يكتسى طابعاً نقدياً أكثر فأكثر وأصبحت الميزات الفنيّة للأثر وجمالياتة البلاغية موضع اهتمام الباحثين ومحطّ أنظار الدارسين. (زيني وند، ١٣٩٢ش: ٢١)

وزد على ذلك؛ أنّ العلاقة بين الأدب المقارن والنقد الأدبي في المدرستين السلافية والألمانية لها مكانة مرموقة بحيث نستطيع أن نعدّها تين المدرستين من العوامل الأساسية

والمؤثرة في ازدهار هذا التلاقى والاتصال بين الأدب المقارن والنقد الأدبي.

### أسئلة البحث

وأما أهمّ التساؤلات التي يتمحور حولها هذا البحث والتي نحن نريد العثور عليها فهي، كالتالي:

- ١- ما هي همزة الوصل بين الأدب المقارن والنقد الأدبي؟
- ٢- ما هي أوجه التلاقى والتباين بين الأدب المقارن والنقد الأدبي؟
- ٣- ما هي الآراء الرئيسة للمدارس الأدبية في الأدب المقارن تجاه النقد الأدبي وما هي وجوه اشتراكها وافتراقها؟

والفرضية التي بُنى على أساسها صرح هذا المقال هي أنّ مدارس الأدب المقارن كافة تحرّض على توثيق التلاحق والترابط بين آداب الشعوب بغضّ النظر عمّا بين هذه المذاهب النقدية من وجوه التلاقى والتباين. إلا أنّ للمدرسة الأمريكية اهتماماً أكثر بالنقد الأدبي وجماليات الأدب بحيث تعتبر هذه القضايا من أهمّ ميزات الاتجاه الأمريكي في الأدب المقارن. والعلاقة الوطيدة التي تربط بين النزعة الأمريكية والنقد الأدبي تعطينا القناعة بأنّهما وجهان لعملة واحدة.

### خلفية البحث

أمّا فيما يتعلّق بسوابق البحث فلا بدّ من الإشارة إلى بعض من عملوا في مجال الأدب المقارن ومنهم: رينيه ويليك وأنوشرواني وساجدى وعبود والخطيب. فقد درس هؤلاء وغيرهم كثيرون جوانب عديدة للأدب المقارن وعلاقته بالنقد الأدبي. ومما يميّز هذا البحث المتواضع عن غيره أنّه يحمل في طيّاته معلومات مبدئية هامة تعتبر مدخلا أو نافذة يطلّ القارئ الكريم من خلالها على أحداث وتطورات مصيرية شهدتها الأدب المقارن عبر المدارس الأدبية.

لم تنجز لحد الآن دراسة عميقة تقوم بالبحث عن العلاقة بين الأدب المقارن والنقد الأدبي إلا أنّ هناك عدداً من الباحثين لقد اهتموا بدراسة بعض أبعاد الموضوع وزواياه نخصّ منهم بالذكر: ويليك (١٣٨٩ش)؛ «أزمة الأدب المقارن». ويليك ووارن

(١٣٧٢ش)؛ نظرية الأدب. انوشيروانى (١٣٨٨ش)؛ «فلسفة ونظرية جديدة في الأدب المقارن». (نفسه) (١٣٩٠ش)؛ «ضرورة التعرّف على نظريات الأدب المقارن في إيران». نفسه. (١٣٩١ش)؛ «التطوّرات النظرية للأدب المقارن، فصلية الأدب المقارن». عبود (١٩٩٩م)؛ «الأدب المقارن؛ مشكلات وآفاق». زينى وند (١٣٩٢ش)؛ «الأدب المقارن (تعريفه، تطوره، اصوله ومناهجه)».

أمّا مقالة كتبت وباللغة الفارسية حول الموضوع الذى عالجنها في هذا المقال فهى مقالة عنوانها؛ «تبيين چالشها وظرفيت هاى رباطه نقد ونظريه ادبى وادبيات تطبيقى» لمسيح ذكاوت (١٣٩١) (العلاقة بين النقد والنظرية الأدبية: و الأدب المقارن تحديات وفرص). وجدير بالذكر أننا استفدنا كثيراً فى بحثنا هذا، من معطيات المقال الثمينة. وثمة مقالة أخرى بعنوان «التجربة السلافية والأدب المقارن» للخضرى (٢٠٠٨)؛ قام المؤلف فى مقالته هذه بدراسة المدرسة الروسية من مختلف جوانبها كما درس كيفية العلاقة بينها وبين النقد الأدبى ومقالة أخرى عنوانها «نظرية التلقى فى النقد الأدبى والأدب المقارن» لبروينى وشكرى (١٣٩٢) لقد اهتمّ الكاتبان فى مقالتهما بدراسة الصلات النظرية والنقدية وما يربطهما مدرستين مشهورتين (الفرنسية والأمريكية) بالأدب المقارن والنقد الأدبى.

## البحث والتحليل

### الأدب المقارن والنقد الأدبى

العلاقة بين الأدب المقارن والنقد الأدبى يتمّ دراستها فى حقول ثلاثة هى؛ التعاريف والأهميّة والأهداف المشتركة بينهما؛

وقبل كلّ شىء لابدّ من الانتباه الى أنّ التواصل بين الأدب المقارن ونظرية النقد الأدبى المعاصر يبدو أمراً محتملاً لا جدال فيه؛ فبلغ الاحتكاك بينهما حدّاً جعل بعض أصحاب الفنّ يعتبرونهما شيئاً واحداً، الفصل الأول من كتاب الأدب المقارن: الموضوع وإشكالية البحث (١٩٦٩) تأليف أوفن آلدريج يدرس نظرية والنقد الأدبى؛ وبعبارة أخرى إن آلدريج صنّفه فرعاً من فروع الأدب المقارن وفى السياق المتّصل؛ أكد فرانسوا

يوست على أن الأدب المقارن هو النقد الأدبي نفسه. (ذكاوت، ١٣٩١ش: ١٠٦)

وليس من قبيل الصدفة أن الكثير من متخصصي الأدب المقارن ينشطون في مجال النقد والنظرية الأدبية في آن واحد ومن هؤلاء الأخصائيين؛ «رينيه ويليك» من رواد النقد الحديث وكذلك جايا ترى جاكراورتي اسبيواك وادوارد سعيد وجوديث باتلر ودومان وارسيليا خيز وجان ميشل وغيرهم كثيرون (المصدر نفسه: ١٠٦-١٠٧) في الحقيقة، تحديد الأدب المقارن يتطلب التركيز على الحدود اللغوية والثقافية والقومية أو الحدود القائمة بين الفروع الجامعية. وهذه هي السمة التي كانت تتسم بها نظرية النقد الأدبي لحقبة طويلة على غرار الدراسات البنائية للأدب والتاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس والفلسفة ... (المصدر نفسه: ١٠٧)

أضف على ذلك؛ أن اجتياز الآراء الأدبية واللغوية والقومية والعمل على تطبيقها في المناطق الجديدة تبادر إلى الأذهان التعريف الذي اقترحه ديفيد دمراش للأدب المقارن علماً أن الأدب العالمي في منظار دمراش عبارة عن مجموعة من الآثار الأدبية الذائعة وراء الحدود الجغرافية عبر الترجمة أو بلغاتها الأصلية. (المصدر نفسه: ١٥٨)

وأما فيما يتعلق بأهمية وغاية النقد الأدبي والأدب المقارن فيمكن القول إن لهما أهمية وغاية تحظنا حدود الأقوام والثقافات ما جعل الأقوام بأجمعها تعترف بهما في أجواء من التفاهم والتعاطى ثم أنهما تتجاوزان الحدود الصناعية وتكسبان الشعوب السعة في التفكير والرؤية. ويمكن اعتبار كل واحد منها مرآة تعكس الآخر بوضوح وإن كلاً منها يدعو إلى الاحتكاك بين الرؤى والتفاعل بين الثقافات في انفتاح مع التشدد على الحفاظ على الهويات المحلية وتسودها هوية بين الفرعية. (المصدر نفسه: ١٠٩)

لاجدال في أنه لا يمكن التعرف على ظاهرة علمية أو أدبية إلا بعد التعرف على المدارس الأدبية التي تنتمي إليها تلك الظاهرة الأدبية ولذلك بات من الصعب جداً فهم التطورات التي شهدتها دراسات الأدب المقارن دون النظر إلى الآراء الحديثة والمدارس الفكرية. (أنوشيرواني، ١٣٩٠ش: ١٧) لم يتفق الباحثون بعد، على التعريف بالأدب المقارن تعريفاً دقيقاً. ربما ما طرحه المتظر الشهير "رينيه ويليك" كالتعريف

بالأدب المقارن هو أدقّ وأقصر ما اقترحه باحث بهذا الصدد حيث يقول: «الأدب المقارن هو اتجاه أدبي جديد يدرس العلاقات الأدبية التي تجمع بين مختلف الأقسام.» (ويليك ووارن، ١٣٧٣: ١٩)

نستنتج مما مضى أنّ معرفة الأدب المقارن والتقد الأدبي وما بينهما من علاقة في هذه الحقول الثلاثة لهما دور مفصلي للكشف عن نقاط التلاقى أو الافتراق ودراستهما وبما أنّ الإلمام بالأدب المقارن ومفاهيمه يتطلّب منّا رسم خط سير التطور الذي مرّت به هذه الظواهر الأدبية فلذا نبدأ بالمرحلة التي تخطتها مدارس الأدب المقارن بادئين بالمدرسة الفرنسية:

### المدرسة الفرنسية للأدب المقارن

هذه المدرسة تكاد تكون هي التي أسست دعائم الأدب المقارن وأصولها لأول مرة؛ من منظور هذه المدرسة لا يتمّ عملية تبادل النماذج الأدبية بين الشعوب عن طريق الصدفة وبطريقة عشوائية. بل ثمة علاقة تاريخية تعمل وفق النظام العلي. من هنا يجب على الباحث في مجال الأدب المقارن البحث عن صلات تجمع بين الأدبين والتي تمهد الطريق للتبادل الأدبي بينهما ومن هذه الصلات، المترجمون وصلات الفنّ الأدبية والسيّاح وغير ذلك من التقنيات التي تسهل عملية الجذب والعطاء بين الآداب. (جمال الدين، ١٣٨٩ش: ١٥) يمكن اعتبار كتاب "الأدب المقارن"، "غويارد" (١٩٥١) وهو أستاذ في جامعة السوربون والمقدمة التي وضعها فيه أستاذه "جان ماري كاريّا" من طلائع الكتب التي تمّ تأليفها حول الأدب المقارن وباللغة الفرنسية. فقد كان للكتاب دور رياديّ في تحديد معالم المدرسة الفرنسية في الأدب المقارن. ممّا صرح به "جان ماري" في مقدمة الكتاب أنّ المقارنة أو المفاضلة بين النماذج الأدبية ليس من أولويات الأدب المقارن بل تكمن الأهمية القصوى في صلب دراسة الخيوط الفكرية والأدبية المشتركة بين الشعوب. (أنوشيرواني، ١٣٩١ش: ٧٥) بلغ الاتجاه الفرنسي في الأدب المقارن في أبان القرن العشرين ذروته ولا يمكن إغفال دور جامعة السوربون في ازدهار وتنمية

1..M.F.Guyard

2. g.M.carre

المدرسة الفرنسية. فقد طوّر علماؤها مبادئ المدرسة ووضعوا النقاط على الحروف. (جمال الدين، ١٣٨٩ش: ١٦) سبق أن أشرنا أن الميزة التي تميّز المدرسة الفرنسية أنها تريد إزاحة الستار عن المصادر التي تستوحى منها الشعوب والأمم نتاجاتها الأدبية. إلا أن المعطيات الأدبية نفسها لا تحظى بأهميّة بالغة لدى أتباع المدرسة الفرنسية طالما تتّجه أنظارهم نحو قضايا خارجة عن نطاق الأدب. (شركت مقدم، ١٣٨٨ش: ٩) بناءً على ما مضى لم تجعل المدرسة الفرنسية المقارنة بين الآثار الأدبية هاجسها الأول وغايتها المنشودة بل تعتبر هذه المدرسة عملية المقارنة نقطة انطلاقاً لجولة أدبية استكشافية تفضى في نهاية المطاف إلى التوصل إلى وجوه التلاقى والتباين بين شعوب العالم. ومغزى ذلك أن المقارنة في أدبيات المدرسة الفرنسية تستخدم كوسيلة لإفساح المجال للتبادل الثقافي والأدبي بين مختلف الأعراق واللغات؛ مما يكون مؤداه تقارب الرؤى وتبادل الأفكار وحوار الحضارات. (نظري منظم، ١٣٨٩ش: ٧٨) بالإضافة إلى ذلك أن الأدب المقارن بانتمائيه الفرنسي لا يكثرث بالنواحي الفنيّة للآثار الأدبية ويصّب جلّ اهتمامه في الجوانب الخارجية للآثار والتأثير المتبادل الذي يجرى في شراقتها جريان الدم في العروق. (ويليك ووارن، ١٣٧٣ش: ٤٣) كان مناصري المدرسة الفرنسية يتعاطفون مع السياسات الاستعمارية التي تمارسها وتفدّها الحكومة الفرنسية في سائر البلاد انطلاقاً من مبدأ الدّمج بين الأدب والسياسة. (أنوشيرواني، ١٣٩٠ش: ١٧)

كان الأدباء التابعون للمنهج الفرنسي يساهمون الأنظمة الفرنسية في إيجاد الطرق التي يتمّ بها الخطط الاستعمارية دون الاعتناء بأداب البلدان المستعمرة. (الخطيب، ١٩٩٩م: ٤٢) والأدب الفرنسي يعتبر أغنى وأثرى آداب العالم لدى أصحاب المدرسة الفرنسية. فإنّه بمثابة العمود الفقري لسائر الآداب وله مكانة تسمو وتفوق آداب الشعوب برمتها إذ تكون هذه الآداب بما فيها الآداب الأوروبية أقماراً تحوم حول فلك الأدب الفرنسي. والنزعة الغالبة في المدرسة الفرنسية التي دامت حتى أواسط القرن العشرين بقيت نزعة خارجية لا تتوغّل في صميم الآداب بل ظلّت دراساتها أول قضايا تبقى خارج نطاق الأدب كمصادر الإلهام المؤثرة على الآداب والمراحل التاريخيّة التي اجتازتها الآداب

والأسباب الكامنة وراء تبادل الآداب وتلاقحها. (أنوشيرواني، ١٣٩٠ش: ٢١)

تعرّضت المدرسة الفرنسية للأدب المقارن في المنتصف الثاني من القرن العشرين لانتقادات لاذعة من داخل فرنسا ومن خارجها. فقد سمّاها البعض بمدرسة قديمة الطراز كما دعاها البعض مدرسة متخلفة تعجز عن مواكبة العصر ومتطلباته. وكان في رأس المنتقدين إيتامبيل<sup>١</sup> الذي سدّد سهام نقده صوب "غوبارد" من أعلام المدرسة الفرنسية حيث اتهمه بالعصبية والانغلاق على الذات كما طالب في الوقت ذاته الباحثين بالعودة إلى أدب المشرق الأقصى والاهتمام بعلوم البلاغة ومزاولة ترجمة الآداب لما في هذه العملية من الأهمية البالغة في تبادل الآداب على الصعيد العالمي. ونستنبط من آراء "إيتامبيل" الجريئة أنه ينتمي إلى مدرسة خاصة من الأدب المقارن تخلط بين المنهج التاريخي والنقدي كليهما. كما نستنتج أيضاً أنّ موالى المدرسة الفرنسية لا يرمون أساساً إلى المقارنة بين النصوص الأدبية طالما يعتبرونها خارج نطاق الأدب المقارن. (الخطيب، ١٩٩٩م: ٥٢)

نستشفّ بما أسلفنا توّاً أنّ الأديب المنخرط في المدرسة الفرنسية لا يورط نفسه في وطأة التنقيب عن الأثر الأدبي مثلما يفعله الطبيب الشرعي بالجنحة بل يكتفى بإلقاء نظرة خارجية على الأثر. ومردّد ذلك أنّ الباحث في المدرسة الفرنسية لايهمّه من الأثر قضايا فنية أو نقدية أو ما شابه ذلك بقدر ما تهّمّه الصلات التاريخية بين الآثار الأدبية وتسلطّ الأضواء على التأثير المتبادل بينها ومصادر نشوئها. (زينى وند، ١٣٩٢ش: ٩٧)

### المدرسة الأمريكية والنقد الأدبي

يُعدّ جارلز تشونشسى شاكفورد<sup>٢</sup> أوّل من وضع اللبنة الأولى لنظرية الأدب المقارن في الجامعات الأمريكية. وتلاه جارلز، غيلي<sup>٣</sup> الذي كان أستاذاً محاضراً لخصّة الأدب المقارن سنة ١٨٨٩م كما دشّن عام ١٩١٢م منبر الأدب المقارن في جامعة "ميشيغن" وتعهّد آرتور ريموند مارش عام ١٨٩٠م تدريس هذه المادة في جامعة "هورورد"

1. Rene Etiembel. Rene Etiembel

2. Charlz chanshi shakford

3. Charlz gili



الأمريكية. (جمال الدين، ١٣٨٩ش: ١٨٤) وربما يُعدّ تأسيس الجمعية الدولية للأدب المقارن عام ١٩٥٤م انعطافاً هاماً في تاريخ الأدب المقارن في أمريكا. وفي العام ذاته نشر فردريك وديويد مالونى بالمشاركة كتاباً في مضمار الأدب المقارن عنوانه "الأدب المقارن أصوله ومناهجه" يحمل في ثناياه ما لديهما من أفكار ورؤى. زد على ذلك، أنّ المنظر والناقد الكبيرين "رينيه ويليك" درس في مقال له وبأسلوب متمهّل وحرصين مفهوم الأدب المقارن عند اللغات الأوروبية.

مما حثّ "ويليك" على اقتراح تعريف جامع ودقيق للأدب المقارن أنّ هذا المصطلح كما صرح به "ويليك" نفسه قبل أربعين عاماً أصبح عرضة للمزيد من سوء الفهم والتفسير الخاطيء بحيث لم يكن هنالك بُدٌّ من البتّ قبل كل شىء في مفهوم محدّد وواضح ومضبوط له. (أنوشيروانى، ١٣٩١ش: ١٥٦) أعلن "ويليك" في مقاله المعنون بـ «أزمة الأدب المقارن» (١٩٥٨م) معارضته للاتجاه الفرنسى للأدب المقارن. ذلك لأنه كان يرى المدرسة الفرنسية المنبثقة عن التيار الشكلافي السائد على القرن التاسع عشر خطراً على تيار النقد الأدبي. والسبب يكمن في أنّ المدرسة الشكلانية تميل إلى استخدام مناهج العلوم التجريبية في النقد الأدبي. كان "ويليك" ينتقد المدرسة الفرنسية مراراً وتكراراً لأنها حسب رأيه صرفت نظرها عن الأدب والجمالية والفنّ واستقطبت اهتمامها في قضايا هامشية لا تمتّ إلى الأدب المحض بصلة. وهكذا وضع "ويليك" أسس مدرسة جديدة في الأدب المقارن اشتهرت بالمدرسة الأمريكية. هذه المدرسة تعتبر الأدب ظاهرة عالمية منسوجة بنسج الخيال شأن سائر المنتجات الفنيّة كالنحت والعمارة والموسيقى والمسرحية والفيلم وغيرها من الفنون التشكيلية. واتّسعت المدرسة الأمريكية شيئاً فشيئاً اتّسعاً واسعاً وأصبحت آراء ونظريات "ويليك" من مرجعيّات التفكير الأمريكى في الأدب والفنّ. ومازالت أفكاره تُعتبر مدرسة تنشر العلم والثقافة ومنازة تشع النور والأدب. وازدهرت الرؤية الأمريكية للأدب وترعرعت حتى انتزعت الصّدارة من المدرسة الفرنسية. وما يستفزّ اهتمام الدارس التابع للمدرسة الأمريكية هو ما يختصّ بالجوانب الفنيّة والنقد الأدبي من الأثر خلافاً لما رأيناه في النزعة الفرنسية للأدب المقارن حيث لاتأبه بجماليات الأثر طالما تجد ضالّتها المنشودة في مجالات أخرى.

لا يفوتنا القول بأنَّ بعض السائرين على المنهج الأمريكي استدرجوا الأدب المقارن ضمن دراسات ثقافية ونحوها به منحىً ثقافياً بينما ينظر أصحاب المدرسة الفرنسية إلى الأدب المقارن نظرة تاريخية ما يعكس نقطة الخلاف بين المدرستين بوضوح تام.

هنرى ريباك<sup>١</sup> من أبرز دعاة المدرسة الأمريكية عرّف الأدب المقارن تعريفاً مقتضياً مشيراً للاهتمام قائلاً: «المقصود بالأدب المقارن هو المقارنة بين أدب بلد أو قوم مع أدب بلد أو قوم آخر...» وقد يكون معناه المقارنة بين الأدب وسائر الحقول المعرفية. (الخطيب، ١٩٩٩م: ٥) ولـ"الدريج" من أتباع التيار الأمريكي رأى آخر بهذا الشأن، حيث يؤكد على دراسة النصوص الأدبية وتحليل جوهرها تحليلاً جمالياً. (انظر: حسان، ١٩٨٣م: ١٧-١١)

يمنح الأديب المقارن الدارسين نظرة شاملة واسعة يتطلعون بها إلى ما هو أبعد من الحدود القومية والجغرافية والتاريخية ويبحثون بها عن مكان القوة ومصادر الإلهام ومواقف الفضيلة. وبيت القصيد في ذلك أنّ الأدب المقارن هو أداة يوظفها الدارس المقارن لاقتناص الظواهر الأدبية الكامنة في صلب النماذج الأدبية. بناءً على ذلك أنّ منظري المدرسة الأمريكية للأدب المقارن لم يعتبروا مسألة التأثير المتبادل بين الآثار الأدبية شرطاً لازماً لإجراء المقارنة بينها خلافاً لما نراه في المدرسة الفرنسية. (نظري منظم، ١٣٨٩ش: ٢١١) ولقد مرّ سابقاً أنّ الداعمين للمدرسة الأمريكية متفقون على أنّ دراسات الأدب المقارن يجب أن تنصبّ في خانة الجماليات الحقيّة في النصوص الأدبية لكي تنساق عملية المقارنة الأدبية صوب النقد الأدبي.

#### المدرسة الروسية (أوروبا شرقية)

يمكن اعتبار "ماركس" و"أنغلز"<sup>٢</sup> من روّاد هذه المدرسة؛ كان الرجلان يزعمان الحزب الشيوعي ويدوّنان موثيقه واضعين نصب أعينهما خلق حالة من التّضامن والتّماسك المادّي والمعنوي بين شعوب العالم. وكان الزعيمان الروسيان يعتبران الإبداعات والابتكارات التي تنبعث عن المفكرين والمثقفين ثروة كبيرة وكنزاً ثميناً للشعوب. وكان

1. Rene wellek, the crisis of Comparative Lirterature".

2. H.Remak

الأدب العالمي في رأيهما يعنى الأدب المكوّن والناجم عن آداب الشعوب المتعدّدة. جدير بالذكر أنّ الأدب العالمي في منظور الزعيمين الروسيين هو الذى يتطابق على مقالة "غوتة"<sup>١</sup> حيث قال إنّ الأدب العالمي هو الذى يتمتع بالمعايير الجمالية على المستوى العالمي. (أنوشيروانى، ١٣٩٠ش: ٢١٧) وُضعت أصول المدرسة الروسية لأول مرّة في مهرجان للكتّاب السوفيتيين سنة ١٩٣٤م. قامت ركائز هذه المدرسة على قوائم مدرسة الواقعية الاشتراكية. لقد تزامن ظهور المدرسة الروسية للأدب في البلاد الاشتراكية نهاية التيارات الأدبية المنتمية إلى مدرسة الرمزية. باتت في نهاية المطاف مدرسة الواقعية الاشتراكية التى تستمدّ من الواقع الاجتماعى أدباً رسمياً وسائداً في تلك البلاد. بما أنّ التيار الاشتراكي كان يسعى جاهداً لإزالة النظام الطبقي في العالم كلّهُ، لم يعبأ بالقضايا الفردية أو القومية ذلك لأنّ القضايا الاجتماعية استأثرت بكافة نشاطاته واتّجاهاته. من أهمّ مبادئ هذا التيار أنّ الأدب من شأنه أن يعكس ما يجرى على الساحة الاجتماعية كمرآة صافية. ومن هذا المنطلق تتشابه الأوضاع الأدبية في البيئات التى تسودها ظروف سياسية واجتماعية مماثلة. (جمال الدين، ١٣٨٩ش: ٢٢)

أما النقد الأدبي في المدرسة الروسية فينبعث من منطلق أنّ الأدب بكلّ مكوناته هو نقطة ارتكاز لرصيد المجتمع. فبالتالى أول خطوة يتخطّاها الأدب المقارن والنقد الأدبي دراسة وتحليل الظروف الاجتماعية والسياسية التى تقولبت في قوالب الأدب المختلفة. والأدب المقارن في المدرسة الروسية هو أدب بمفهومه الشامل الذى يُعنى بدراسة الأشكال المنوّعة من الأدب. في ضوء الدراسات التاريخية والثقافية «علم يدرس تطور الآداب القومية في إطار الأدب العالمي الذى يوحد الشرق والغرب، وهو ينطلق من وحدة السياق التاريخي لتطور آداب الشعوب وبعبارة أخرى، ينطلق من مبادئ الأخوة والتعاون بين الشعوب في مسيرة عملية التقدم والتطور التاريخيين فيما يخصّ القضايا الثقافية، ولاسيما الأدبية منها.» (جيرمونسكى، ٢٠٠٤م: ٥٠)

على أيّة حال، بما أنّ هذه المدرسة تركّز على دور الظروف الاجتماعية والاقتصادية في إنتاج الأعمال الأدبية فتراها كأنّهما تهمل العمل الأدبي والعناصر الجمالية: «أبرز

ما يؤخذ عليها أنّ البحث في وجوه التشابه في البنى التحتية أو القاعده للمجتمعين - أي الظروف الاجتماعية والاقتصادية - يقود إلى إهمال العمل الأدبي نفسه ويتم التركيز على العمل الأدبي وبيان ميزاته الفنية وتهتمّ بالعناصر الخارجية من المؤشرات الاجتماعية أو الاقتصادية.» (خضري، ٢٠٠٨م: ٢٧)

في الحقيقة؛ إنّ أصحاب هذه المدرسة لا يهتمون دور النقد الأدبي في تقييم الآثار الأدبية بل «لا تصل في التقليد المقارنى اليومي إلى مستوى المدرستين الفرنسية والأمريكية، إلا أنها تعدّ تجربة أدبية جديدة ونافعة لروسيا والبلدان الأوروبية الشرقية، التي تسعى لتطوير بعض مناهج النقد الأدبي من خلال اهتمامها الخاص بالأدب العالمى وسعيهما الحثيث إلى توحيد الشرق والغرب...» (نفسه: ٣٣)

فهذا أنّ المدرسة السلافية (الروسية) حيث تؤكد على توسيع العلاقة بين الأدب والعلوم الاجتماعية والاقتصادية والأخرى من الدراسات النقدية الحديثة كأنها تحاول الكشف عن زوايا العلاقة المتعددة بين الأدب (النقد) والدراسات الاجتماعية والثقافية «وإن كانت المدرسة الفرنسية مدرسة تاريخية والمدرسة الأمريكية مدرسة جمالية، فالمدرسة السلافية هي مدرسة نقدية، مبنية على الدعامتين الفلسفية والعلمية.» (علوش، ١٩٨٧م: ١٣٣)

### المدرسة الألمانية

الأدب المقارن كان يُصنّف في ألمانيا في حقل مباحث تاريخ الأدب. وأول من شدّد على ضرورة وأهمية الأدب المقارن في الأبحاث الجامعية هو الأديب الألماني "كسبر دانيال مورهوف". ولقد شهدت ألمانيا في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر حركة أدبية تحمل معها معالم من الأدب المقارن حيث كانت تبحث في شتى الآداب العالمية.

كان الشاعر الذائع الصيت "غوته" يقود هذا التيار الذي يمثّل الأدب العالمى؛ وابتكر غوته فكرة التواصل بين الآداب الأوروبية وسائر الشعوب وهكذا لقي الأدب المقارن في العقد السادس من القرن العشرين ترحيباً حاراً لدى الأوساط الأدبية الألمانية. شكّل

فريق من الناقدین الألمان في أواخر القرن المنصرم جمعية أدبية في مدينة "كنستانس" حيث عكفوا فيها على قضية علم التأويل. وبناءً على نظرية التأويل أن النصوص الأدبية ليس لها معان ثابتة ومعينة، بل المخاطب هو الذي يستنتج ويستجلى النصّ حسبما يفهمه. لذا ليس المخاطب مجرد القارئ أو المستهلك للنص (إذا جاز التعبير) طالما يقوم بدور المفسّر أو المستنبط للنصّ. (جمال الدين، ١٣٨٥ش: ٢٣) على أية حال إن الغاية التي ترمى إليها نظرية التأويل هي الاستشراق على عملية فهم النصوص الأدبية واستيعابها حيث يتحوّل النص الصامت إثرها إلى النص الناطق في ضوء مختلف الظروف الاجتماعية والتاريخية. وما يميّز هذا التيار الأدبي عن غيره أنه لا يعتبر النصّ مدار البحث الأدبي على غرار المدارس الأمريكية والفرنسية بل المدار هو المخاطب المتلقّي الذي يفسّر النصّ طبقاً لرواسبه الفكرية وسوابقه الأدبية.

علاوة على ذلك؛ فإنّ نظرية التلقّي يعدّ همزة وصل بين النقد الأدبي والأدب المقارن؛ هذه النظرية بنزعتيهما المعروفتين الفرنسية والأمريكية في الأدب المقارن، وفّرت أرضية خصبة في مجال دراسات التلقّي كما أنّهما نفحت روحاً جديدة في جسد المدرستين المذكورتين؛ على سبيل المثال ولا الحصر، أول بادرة من بوادر تأثر المدرسة الفرنسية بنظرية التلقّي يسبق عملية التأثير نظراً إلى أن النصّ الأدبي يتم تلقيه أولاً ومن ثمّ يترك أثره. أو في المدرسة الأمريكية يعدّ تلقّي النصّ الأدبي في مختلف البيئات الثقافية من الفواسم المشتركة بين نظرية التلقّي والأدب المقارن. (انظر: برويني وشكري، ١٣٩٢ش: ٣٢-٣٧)

نستشفّ من خلال ما أوردناه سابقاً أنه من الصعب جداً إن لم يكن من المستحيل الإجابة على هذا السؤال: «المنازعة أو المساهمة؟»؛ ذلك لأنّه تختلف الإجابة من مدرسة لأخرى ومن اتجاه لآخر وذلك طبقاً للأسس النظرية والتوجيهات التطبيقية لدى كلّ مدرسة أو اتجاه. المدرسة الفرنسيّة ابتعدت عن الأسس التقديّة أثناء دراساتهما الأدبية المقارنة إذ حبستها في قضايا التأثير والعوامل الخارجية؛ وأمّا المدرسة الأمريكيّة فتقرّبنا من فهم جوهر النصوص الأدبية بقدر ما تبعدنا عنه المدرسة الفرنسية. وذلك من خلال تأكيدها على الجماليات الفنية والمعنوية بتوظيفها النظريات التقديّة الحديثة. إنّ

الأدب المقارن الذي يهتم بدراسات التأثير والتأثر يكتفى بتأريخ العلاقات الخارجية للأدب ولا يتطرق إلى الجوانب والأبعاد الجمالية والأدبية: أمّا الأمور الجمالية والفنية، فإنّها تبقى مهمّشة ومهملة لديها إذ تصبّ هذه المدرسة كما أسلفنا مسبقاً معظم جهودها في قضايا لا يمكن اعتبارها من العناصر الأساسية للأدب إنّ علاقة الأدب المقارن بالنقد الأدبي تبدو من هذا المنظور علاقة تقسيم الأعمال والوظائف، فلكلّ من المنهجين مساره المحدّد الذي تفكّكت تخومه بدقّة: فعلماء الأدب المقارن ليسوا نقاداً والنقاد ليسوا مقارنين.

وما يفصل الأدب المقارن عن النقد الأدبي لا يقتصر على حدود ونطاق كلّ منهما، بل يشمل المنهجية والأسلوبية أيضاً. للنقد الأدبي أساليبه في عملية المقارنة وللأدب المقارن، أيضاً، طرائقه التي تختلف اختلافاً جوهرياً عن طرائق النقد الأدبي. فمنهجية الأدب المقارن، منهجية تاريخية تجريبية، تتمثّل في جمع الوثائق والأدلة والوسائط وكلّ ما يبرهن بصورة ملموسة ومحموسة على وجود علاقات التأثير والتأثر المتبادل بين النماذج الأدبية للأقوام. (عبود، ١٩٩٩م: ٢٨-٢٩) إنّ الخلفية الحقيقية لذلك الصّدام الذي جرى بين الاتجاه التاريخي (الفرنسي) في الأدب المقارن وبين النقد الجديد الذي مثله "رينيه ويليك"، ترجع في حقيقة الأمر إلى ذلك التحوّل الجذري في النموذج (paradigmawechsel) الذي شهده النقد الأدبي والدراسات الأدبية في أوائل هذا القرن، ألا وهو التحوّل في مقارنة النصوص الأدبية من المكونات الخارجية إلى المكونات الداخلية. إنّ التحوّل الذي بدأه "الشكلاونيون الروس" وواصله أصحاب النقد الجديد والبنوية والاتجاهات ما بعد البنوية وقد شكّل هذا التطوّر منعطفاً حاداً في تأريخ الفكر النقدي في العالم. فقد نقل نقطة ثقل الدرس النقدي من العلاقات الخارجية للعمل الأدبي (أى: علاقاته بشخصية الأديب وسيرته وعلاقته بالبيئة الاجتماعية والثقافية...) إلى العلاقات الدخلية للعمل الأدبي (أى: إلى البنية الفكرية والفنية والجمالية). (نفسه) فهكذا صار النقد الأدبي إحدى المكونات الأساسية لتطوير الأدب المقارن حيث ينظر إلى الأدب من منظار البنى الداخلية والخارجية معاً دون أن يمحصر نفسه فيما تنطوي عليه الأعمال من المؤثرات الداخلية أو الخارجية فقط.

مهما يكن من أمر؛ فإن مناهج الأدب المقارن ومجالات البحث فيه تختلف عن مناهج النقد الأدب الأدبي لكن الأدب المقارن يستعين النقد للوقوف على دراهم القيم الجمالية والإبداعات الفنية والتيارات الفكرية والاتجاهات الأدبية والصياغات الفنية لتأتي ثمرة البحث عميقة وغزيرة. (انظر: [www.alfaseeh.com](http://www.alfaseeh.com))

### الهوامش

١. هو أبرز ممثلي الاتجاه النقدي الذي يعرف بالنقد الجديد؛ فقد عكف رينيه ويليك على دراسات التأثير والتأثر وأسسها الفلسفية والنظرية وتطبيقاتها ودورها، وذلك في محاضرة تاريخية ألقاها عام ١٩٥٨م في المؤتمر الثاني للرابطة الدولية للأدب المقارن الذي انعقد في جامعه "تسابل-هيل" الأمريكية. لقد وجه ويليك إلى دراسات التأثير وإلى المدرسة الفرنسية التقليدية في الأدب المقارن نقداً لاذعاً لا مثيل له في حدته، ونسف أسس تلك المدرسة ومرتكزاتها. من الإشكاليات التي أوردها ويليك عليها أنها من الناحية النظرية مثقلة بأعباء فلسفات القرن التاسع عشر، كالنزوع إلى الرؤية التاريخية نحو الأدب وأنها تتعامل مع النصوص الأدبية بصورة خارجية، وبمناى عن أدبيتها، ولا تتعامل مع الأبعاد الداخلية لتلك النصوص، أى مع جوهرها الفني والجمالي (عبود، ١٩٩٩م: ٢٨-٢٩).

### النتيجة

- اتضح مما سبق أن لكل مدرسة من مدارس الأدب المقارن أمام تيار النقد الأدبي أسلوب مختلف من مدرسة إلى أخرى. اختلافاً جوهرياً إلا أن الدراسات تفيد بأن الأدب المقارن بمختلف اتجاهاته ومناحيه لا يكون بمعزل عن النقد الأدبي بل يكاد يكون جزءاً لا يتجزأ منه ويمكن اعتبارهما وجهين مختلفين لعملة واحدة يوظفهما الأديب والناقد كآليات فنية بناءً لدراسة ومقارنة الآداب العالمية لاستخلاص القواسم المشتركة والجماليات الفنية والدلالية منها. يمكن القول إن كل باحث أو ناقد يقوم بدراسة وتحليل الآثار الأدبية لشعوب العالم ينطوي عمله ضمن نطاق الأدب المقارن والنقد الأدبي.

- الغاية القصوى التي ترميها المدرسة الفرنسية هي التواصل إلى وجوه التلاقى والتباين بين النماذج الأدبية. فليس المقارنة في هذه المدرسة سوى بداية للانطلاق في رحلة استكشافية تنتهي في نهاية المطاف إلى معرفة وجوه التأثير المتبادل بين الآثار الأدبية.

- تهتمّ المدرسة الأمريكية بالجوانب الفنيّة والنقد الأدبي من الأثر راصدة وجوه التشابه والتباين بين الأثرين بغضّ النظر عمّا بينهما من التأثير المتبادل وما يخرج عن نطاق القضايا الفنيّة والجمالية.

- أجمع أصحاب المدرسة الأمريكية على أنّ دراسات الأدب المقارن يجب أن تنصبّ في خانة الجماليات المختبئة في النصوص الأدبية حتى تقترب عملية المقارنة الأدبية من النقد الأدبي.

- المدرسة الروسية تعتبر الأدب مرآة صافية وصادقة تعكس ما يطرأ على الساحة الاجتماعية والسياسية ويمكن اعتباره أيضاً نقطة ارتكاز المجتمع حيث إنه بمثابة القالب الذي يتقوّل به كلّ قضية تحدث في حياة المجتمع. وبناءً على ذلك لا يمكن دراسة الأدب ونقده بمعزل عن الأحداث السياسية والاجتماعية التي تحتكّ بساحة المجتمع طالما يعتبر الأدب حصيلة عملية التمازج والتزاوج بين هذه الأحداث. آداب الأقوام المتعددة تكاد تكون كنزاً ثميناً وثروة هائلة للشعوب من منظور المدرسة الروسية للأدب المقارن.

- أرست المدرسة الألمانية للنقد دعائمها على نظرية "التأويل" وبناءً على هذه النظرية إنّ النصّ الأدبي ليس له معان ثابتة ومعينة. هذه الرؤية تسمح للقارئ أن يستفسر ويستنتق النصّ كما يفهمه هو وليس كما أراد الكاتب. ولذلك ليس الحجر الأساس في النموذج الأدبي هو الكاتب أو الأديب على غرار سائر المدارس الأدبية بل هو القارئ أو المخاطب الذي يفسّر النصّ حسب روايته الفكرية وخلفياته المعرفية.

- للإجابة على السؤال المطروح في هذا البحث وهو «هل ثمة منازعة أو مساهمة؟»

فنتقول: تختلف بين مدارس الأدب المقارن والنقد الأدبي من مدرسة إلى أخرى فبينما كرّست المدرسة الفرنسية جهودها على قضايا خارجة عن النقد والأدب تتوغّل المدرسة



الأمريكية في صميم النص لدراسة ما يتعلّق بجوهر النص وجمالياته الأدبية ودلالاته الفكرية.

- مهما يكن من أمر فإنّ المدرسة الأمريكية في النقد شكّلت انعطافاً هاماً في مضمار البحوث النقدية حيث إنّه غيرت مسار النقد من التركيز على قضايا هامشية إلى رصد العناصر التي تتعلّق بجوهر النص والبنى الأدبية والجمالية وإذاً نستطيع القول إنّ بين هذه المدرسة والنقد الأدبي مساهمة جادة غير مسبوقه.

### المصادر والمراجع

- انوشيرواني، علي رضا. (١٣٨٨ش). «فلسفة ونظرية جديدة في الأدب المقارن». فصلية الأدب المقارن. السنة الثانية. العدد ٨. صص ٧-١٠.
- \_\_\_\_\_ (١٣٩٠ش). «ضرورة التعرّف على نظريات الأدب المقارن في إيران». فصلية الأدب المقارن معهد اللغة والأدب الفارسي. السنة الأولى. العدد ١. صص ٣٨-٨.
- \_\_\_\_\_ (١٣٩١ش). «التطوّرات النظرية للأدب المقارن»، فصلية الأدب المقارن. معهد اللغة والأدب الفارسي. السنة الثالثة. العدد ٢. صص ٧-٣.
- برويني، خليل وشكري، مسعود. (١٣٩٢). «نظرية التلقّي في النقد الأدبي والأدب المقارن». فصلية الأدب المقارن. معهد اللغة والأدب الفارسي، العدد ٢/٤، صص ٣٩-٢١.
- حسان، عبدالحكيم. (١٩٨٣). «الأدب المقارن بين المفهومين الفرنسي والأمريكي». الفصول. القاهرة. الجزء الأول. المجلد الثالث، صص ١٧-١١.
- جمال الدين، محمّد السعيد. (١٣٨٩ش). دراسات في الأدب المقارن (دراسات في الأدبين العربي والفارسي). ترجمه سعيد حسام پور وحسين كياني. ط ١. شیراز: جامعة الشيراز.
- جيرمونسكي، فيكتور مكسيموفيتش. (٢٠٠٤). علم الأدب المقارن شرق وغرب، ترجمة غسان مرتضى، حمص. لانا.
- خضري، حيدر. (٢٠٠٨). «التجربة السلافية والدرس المقارن للأدب». مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد ١٠، صص ٣٧-١٩.
- ذكاوت، مسيح. (١٣٩١ش). «العلاقة بين النقد والنظرية الأدبية (دراسة في تحديات وفرص)». فصلية بحوث في اللغة والأدب المقارن، جامعة تربيت مدرس، العدد ٤، صص ١٠٣-١٠٩.
- زيني وند، تورج. (١٣٩٢ش). الأدب المقارن (تعريفه، تطوره، أصوله ومناهجه). ط ١. طهران: نشر يار دانش.
- شركت مقدّم، صديقه. (١٣٨٨ش). «مدارس الأدب المقارن». فصلية دراسات في الأدب

المقارن. السنة الثانية. العدد ١٢. صص ٥١-٧١.

عبود، عبده. (١٩٩٩م). الأدب المقارن؛ مشكلات وآفاق، ط ١. دمشق: اتحاد الكتاب العرب. نظري منظم، هادي. (١٣٨٩ش). «الأدب المقارن: تعريفه ومجالات البحث فيه». فصلية الأدب المقارن بجامعة شهيد باهنر كرمان. السنة الأولى. العدد ٢. صص ٢٣٧-٢٢١.

علوش، سعيد. (١٩٨٧). مدارس الأدب المقارن. دراسة منهجية، بيروت: المركز الثقافي العربي. ويليك، رينيه. (١٣٨٩ش). «أزمة الأدب المقارن». ترجمة سعيد ارباب شيراني. فصلية الأدب المقارن. معهد اللغة والأدب الفارسي. السنة الأولى. العدد ٢. صص ٩٨-٨٥.

ويليك، رينيه ووارن، أوستين. (١٣٧٢ش). نظرية الأدب. ترجمة ضياء موحد وپرويز مهاجر. طهران: النشر العلمي والثقافي.